أخي ابراهيم

للاستاذ جمال مهدي الهنداوي الاستاذ بدار المعلمين الريفية قرض فيه كتاباً صغيراً تأليف الآنسة الشاعرة فدوى عبد الفتاح طوقان وقد اهدته له صور فيه الشاعر المتوفى ابراهيم عبدالفتاح تصويراً بارعاً بالنظر للصلة الوثيقة التي كانت تربطه معه يوم ان كان استاذاً في الدار وللصداقة القوية التي تأكدت بينهما وهذا ما يدلنا على وفاء الاستاذ تجاه صديق آنس منه روحاً سامياً فناجاها بعد الموت. (البيان)

عندليب صدّاح ؛ صدح في سماء الوطنية بأعذب الانغام وأسمى المعاني ...

ظل ينادي قومه ، ويعبر عن آلام بلاده وما تعانيه ، في قطع من غرر الشعر ، منتزعة من قلبه المكلوم ...

تحمل في سبيل الاعلان عما يخالجه من أفكار ما تحمل من آلام روحية الى آلام جسمية ، دون أن يعبأ بما سيكون فضاقت عليه بلاده برحبها في سبيل وطنيته ، وطالما ضاقت البلاد بالوطنيين الاحرار ، في الوقت الذي يتسع صدرها للآخرين ، فتوجه صوب العراق ، وقضى قسماً من تلك الحياة القصيرة فيها أستاذاً في أحد معاهدها ، فكان لكل من اتصل به ، المثال الرائع الذي يجب أن يكون عليه كل من يريد خدمة بلاده وأمته الخدمة الخالصة الحقة ، ثم عاد ...

عاد ليمضي تلك البقية من أيامه في وطنه المثخن بالجراح ..

واذا بها مدة قصيرة وتنقضي ؛ تحمل خلالها هذا الوطن الأبي ، صنوف الآلام والاسقام ...

ثم اذا بالاقدار ، تأبى إلا أن تخرسه وتحرم منه وطنه ؛ فتضيف جرحاً آخر إلى جراحها العديدة ، فلقد ذوى ذلك الغصن وهو في مقتبل الحياة ...

فندبته فلسطين ، لأنه كان ابنها البار ، وبكته الجهات الأخرى من البلاد العربية ، لانه كان شعلة وهاجة في الوطنية

ذلكم الفقيد ، هو الشاعر ابراهيم عبدالفتاح طوقان ...

وها هي ذي اخته الوفية والأديبة الشاعرة (فدوى)

تتحف المكتبة العربية بصورة قلمية حية بعنوان (أخي ابراهيم)[١] لهذا الشاعر المجاهد ، الذي لم تخسره فلسطين فحسب ، بل خسره كل أبناء الضاد ، هذه الصورة التي تلمس فيها العاطفة الجياشة وتلمس فيها صورة صادقة من وفاء الأخت لاخيها ، وتشعر من خلال الأسطر ؛ بذلك الحزن العميق الذي يغمر نفس هذه الاخت ، وذلك الألم المضني الذي يحز قلبها منذان فارقها ابراهيم فاسمعها تقول في القسم الأول من الكتاب :—

[لا أحب إليّ من ساعة آخذ فيها مجلسي من أمي فتحدثني عن طفولة شقيقي ابراهيم — رحمه الله ، وسقى بصيب رحمته ثراه — وياله شعوراً حزيناً يتسرب في شعاب قلبي حين تفتتح حديثها عن ابراهيم بهذه الديباجة التي تفعم نفسي بالرحمة لها والحسرة عليه : (لقد بلوت في ابراهيم الحلو والمر ؛ ولقيت فيه من الحزن وطارقات الهموم ، أضعاف ما لقيت فيه من السعادة والهناء) وتترقرق في عيني كل منا دمعة ، وتعتلج في صدر كل منا لوعة ، ثم تشرع هي في حديثها عن طفولة إبراهيم وقد أقبلت عليها بحواسي وقلبي وروحي جميعاً .]

وبعد ان تقدم لك ؛ تلك الصورة التي تقرأ فيها ابراهيم منذ نعومة اظفاره حتى انتقاله لدار الخلود ؛ بجوار ربه الكريم وجهاده في إداء رسالته في سبيل وطنه وأمته ، والمحيط والبيئة اللتين قد تأثر بها ، والظروف التي مرّت عليه ، ومختلف العوامل التي أحاطت به ، على النحو الآنف الذكر ؛ بأسلوب جميل جذاب يشعرك بالحسرات التي تملأ نفس هذه الأخت ، تجدها في خلال ذلك وبعده ، تقدم أخاها في مقطوعات من شعره مختلفة الاغراض تتجلى من خلالها عبقرية هذا الشاعر الذي شاء القدر أن يخرس صوته ، ويحرم منه البلاد ؛ بعد ان سطع كوكبه في سماء الوطنية ، وهي في أمس ما تكون الحاجة إلى أمثاله ...

فاسمعها تقدم أخاها في قصيدته المشهورة [الثلاثاء الحمراء] التي خلد فيها ثورة فلسطين وشهداءها سنة ١٩٢٩ التي يقول في بعض أبياتها :—

(١) أخي ابراهيم — كتاب يقع في ١٠٤ صفحات بالحجم الصغير ، الطبعة الاولى ، من سلسلة الثقافة العامة التي تصدرها المكتبة العصرية في يافا — فلسطين

غرام لم يتم !...

بقلم : عبد الواحد باشى أعباء العباسي

زعموا ان زهرة تفتحت في جنينة زاهية تقع على نهر عذب سلسبيل يتهادى ماؤه الصافي رويداً رويداً فتستقي منه أزاهير الجنينة الباسمة ومن بينهن تلك الزهرة التي لا تزال في مرح طفولتها البريء !

كانت تلك الامسية التي تحدث بها النسيم الى تلكم الزهرة جميلة هادئة ؛ وكانت الطبيعة الصامتة على حباها الربيع آنذاك فاغدق عليها الحسن والبهاء ، فظهرت في ذلك كابهى ما تكون بين اخواتها الجنائن في هذا الفصل الفاتن ...

الزهرة تلاطف اخواتها ـ الزهور ـ برفق وتضحك معهن فرحة مستبشرة لما عليها من براءة وسذاجة ...!

وكان عهدها بهذا الجو المرح في كل يوم يمر عليها ... حتى أن جاءها اليوم الذي احست فيه اصبحت مسؤلة عن نفسها فنفضت عن اوراقها مرح الطفولة البريء وأخذت تفكر في الاصباح والاماسي بشبابها ومستقبل عمرها !

وفي يوم صباحه مشرق ، هب نسيم بارد فواح بعطر الاماني ... فدار حول الزهرة بلطف ولين ؛ وقد هش باسماً في وجهها الصبوح ، فما كان من الزهرة الا ان اختلجت دقات قلبها وضاقت انفاس عبيرها وانطوت اوراقها الناضرة على نفسها فظلت صامتة حائرة لا تدري ما تصنعه مع هذا النسيم اللطيف ان لاطفها بنعومته ، والى ذلك الجبار ان عابثها بقسوته .

ايه — يا زهرتي — مالي أراك وقد اطرقت برأسك الى الارض ؛ وتجمعت أعضاؤك ، هل خشيت مني فضممت عني جمالك الزاهي ، ام اصابك الخجل فاختفيت عني ؟! ألا تعرفين من اكون انا ...؟ انا ذلك النسيم البارد المنعش الذي اذا هب عليك داعب أوراقك الفاتنة فحمل منك بعض اريجك العاطر الى نفوس العاشقين الواهين ...ألا تعرفيني وانا الذي احمل اليك نداوة الليل فاطلي اوراقك الحمر بندى السحر القاتم !؟

فلم ترد الزهرة عليه بل التزمت الصمت وظلت بحيرتها ساكتة ...

ثم عاد النسيم مناشداً اياها :

ألا تعلمين انا الذي قد حباني الله فاطلق لي العنان وجعلني اغدو واجيء بحرية وبدون قيد ... فلا يستطيع ان يمنعني اي كائن كان كبيراً أم صغيراً من حريتي هذه . . ادخل حتى على

اليوم تنكره الليالي الغابرة ... وتظل ترمقه بعين حائرة
عجباً لأحكام القضاء الجائرة ... فأخفها أمثال ظلم سائرة
وطن يسير إلى الفناء ... بلا رجاء
والداء ليس له دواء ... إلا الاباء
إن الاباء مناعة إن تشتمل ... نفس عليه تمت ، ولما تقهر

واسمعه يخلد شهداء فلسطين في مكان آخر من قصيدته [الشهيد] التي هي صرخة مدوية تحفز الهمم وتثير الشعور بالعزة والاباء حيث يقول :—

انفروا أيها النيام فهذا يوم لا ينفع العيون كراها
كشفت منكم المقاتل وامتدت اليها المثقفات قناها
نبئوني عن القوي متى كان وحيا ؛ هيهات من عز تاها
لا يلين القوي حتى يلاقي مثله عزة وبطشاً وجاها
لا سمت أمة دهتها خطوب أرهقتها ولا يثور قناها

واسمع الفقيد كيف يصب غضبه على عصبة السوء من باعة البلاد :—

يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة ... ولا تعلمت أن الخصم خداع
لقد جنيت على الأحفاد ؛ والهفي ... وهم عبيد وخدام واتباع
وغرك الذهب اللماع تحرزه ... إن السراب كما تدريه لماع
فكر بموتك في أرض نشأت بها ... وأترك لقبرك أرضاً طولها باع

ويقول في مكان آخر :—

أما سماسرة البلاد فعصبة ... عار على أهل البلاد بقاؤها
ابليس أعلن صاغراً إفلاسه ... لما تحقق عنده اغراؤها

إلى غير ذلك من الصور والقطع الرائعة ...

فجدير بكل عربي غيور أن يقرأ [أخي ابراهيم] ليقف على حقيقة ابراهيم .

بغداد — الرستمية

جمال مهدي الرهداوي